

4

قصص المبشرون بالجنة

الذليل
العظيم

سليمان العناني

دار اللطائف

التلميذ العظيم

(الإمام علي بن أبي طالب)

هذا فتى هاشمي الأبوين .

أبوه (أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف)

وأُمُّه (فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف) .

في هذا البيت الكريم قضى (النبي محمد) سنوات طويلة من شبابه وصبله - وجد من عمِّه (أبي طالب) عوضاً عن الأب والجدة اللذين فقدتهما - كما وجد قلباً الأم عند فاطمة زوجة عمه وبنت عم أبيه التي أولته حنائها ورعايتها ..

جلس (محمد) يوماً إلى الطعام مع أسرة عمِّه ، فلاحظ علامات الإرهاق على زوجة عمِّه ، فسألها إن كانت تنتظر مولوداً ؟ .. وتوجه بالحديث لعمِّه ..

- "إن كانت حاملاً أنشئ فزوجنيها" .

فقال له عمه أبو طالب : "إن كان ذكرا فهو لك عبد ..
وإن كانت أنثى فهي لك زوجة" ..

فلما جاء المولود ذكرا فرح به محمد وأمه (عليه)
كان (محمد) يصغر دائما على أن يكون لهم عمل .. فهو
يأبى على نفسه أن يعيش عالة على عمه .. فخرج يرعى
الأغنام في ضواحي (مكة) إلى أن شب وعا .. فطلب أن
يرافق عمه في رحلة التجارة إلى الشام .. وعُرف عن
(محمد) الأمانة والصدق والبر ، فاستأمنته (خديجة بنت
خويلد) على مالها ، فخرج به في تجارة ، وعاد بخير كثير فلما
رأت منه جميل الخصال تزوجته .. وانتقل للحياة معها تاركا
بيت عمه (أبي طالب) .

كان (محمد) يلزم بعمه وبأميرته .. دائم الزيارة له .. ملجأ
كل حبه ورعايته (لعل) .. الفتى الصغير الذي كان شديداً
التعلق بأبن عمه (محمد) .

تعرضت قريش لأزمة وحشية .. فقال (محمد) لعمه
(العباس) :

- "إن أهلك (أبا طالب) كثير العيال ، وقد أصاب الناس

ما ترى من هذه الأزمّة .. فانطلق بنا إليه فلنخفف عنه من
عياله .. آخذ من بنيه رجلاً ، وتأخذ أنت رجلاً ، فتكفلهما
عنه " .

وضم (محمد) (عليه) إلى كتفه ..

وضم (العباس) إليه (جعفرا) .

في بيت (محمد) عاش (علي) حياة سعيدة .. فقد كان
متعلقاً بابن عمه منذ تفتحت عينه على الحياة .. فكم داعبه
صغيراً وكم لاعبه وعلمه وأطعمه .. وهو يتعلم منه اليوم
مبادئ الرجولة ودروس الحياة ..

وجاء الوحي إلى (محمد عليه السلام) أن { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ
الَّذِي خَلَقَ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ } [العلق : 1 - 2] .

دخل (علي) البيت فرأى (محمد عليه السلام) واقفاً
ومن خلفه وقفت (خديجة) .. تقوم مع قياضه ، وترجع مع
ركوعه .. وسمعهما يتلوان كلاماً لم يسبق له أن سمعه ولما
انتهيا عما كانا فيه سألهما ..

.. "لمن تسجدان ؟" .

فأجابه محمد :

"إِنَّمَا نَسْجُدُ لِلَّهِ الَّذِي بَعَثَ نَبِيًّا ، وَأَمْرُنِي أَنْ أَدْعُو النَّاسَ
إِلَيْهِ" .

ودعا (محمد) (عليه) إلى الفخول في الدليل الجديد وإلى
عبادة الله الواحد الذي لا شريك له .

وقرا (محمد) بعض ما أنزل إليه من الذكر الحكيم فانبهر
(عليه) من سحر البيان وجمال المعنى ، ولكنه استأذن في أن
يشاور أباه في أمر هذا الدين قبل أن يؤمن به .

فخشي (عليه) ليلة مؤرقا يفكر فيما سمعه من ابن عمه ،
وفي الصباح أعلن إسلامه دون الرجوع إلى أبيه . وقال :

" لقد خلقتني الله من غير أن يشاور (أبا طالب) ، فما
حاجتي أنا إلى مشاورته لأعبد الله ؟ " .

هكذا أصبح (عليه) ثاني من دخل الإسلام بعد خديجة -
وأول صبي يعتنق هذا الدين .

كانت ليلة مقمرة - نسيمها طيب - جلس (محمد)
وحجابه (عليه) في الخلاء يتأملان قدرة الله في خلق الكون

ويسجدان شكراً له على نعمائه .. فمر بهما (أبو طالب) فسلك (محمدًا):

- "يا ابن أخي ، ما هذا الدين الذي أراك تدين به ؟" .
قال له (محمد) :

- "أى عم .. هذا دينُ الله ودينُ ملائكتِهِ ودينُ رسلِهِ ودينُ أبينا (إبراهيم) .. بعثنى الله به رسولاً إلى العالمِ وأنتَ أحقُّ من يذلتَ له النصيحةُ ودعوتهُ إلى الهدى وأحقُّ من أجابنى إليه وأعاننى عليه" .

فأقسم (أبو طالب) أن يحمى ابن أخيه ما بقى حياً مهما يكن من أمرٍ .. فلا يَحْسُهُ أحدٌ بسوءٍ .
ثم سأل (عليًا) :

- "ما هذا الدين الذي أنتَ عليه يا بنى ؟" .
فأجابه (علي) :

- "يا أبت .. أمنتُ بالله وبرسوله وصدقتهُ بما جاء به ، واصليتُ معه وأتبعتهُ" .
فقال أبو طالب لابنه (علي) :

.. "إِنَّهُ لَمْ يَدْعُكَ إِلَّا إِلَى الْخَيْرِ فَالْزِمَهُ" ..

يَا هَذَا مِنْ أَصْبَى فِي الْخَوَارِ ، وَصَلِّقْ فِي الْإِيمَانِ مِنْ فَتَى
صَغِيرٍ لَمْ يَبْلُغِ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ ... هَذَا فِكْرُهُ إِلَى الطَّرِيقِ
الْقُرْآنِيِّ وَذَلِكَ قَلْبُهُ عَلَى دِينِ الصَّلَاقِ .. آمِينَ يَا نَبِيَّ وَلِزِمَهُ كَمَا
يَلْزِمُ الظِّلُّ صَاحِبَهُ .. يَحْفَظُ عَنْهُ التَّنْزِيلَ ، وَيَتَّخِذُ مِنْهُ الْحَدِيثَ
وَالْعَمَلَ .. يَدَالِعُ عَنْهُ فِي الْقَتْلِ ، وَيَنْصَرُّ عَلَى أَعْدَائِهِ فِي
السَّلَامِ .

حَفِظَ اللَّهُ (عَلَيْهِ) فَلَمْ يَتَحَنَّ لِنَفْسِهِ أَبَدًا .. لَمْ يَتَحَنَّ لِغَيْرِ
اللَّهِ - فَكَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ - وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْفَتَيَانِ
وَأَوَّلَ مَنْ صَلَّى خَلْفَ النَّبِيِّ - فَكَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ - .

عَرَفَ عَنْهُ التَّوَسُّلَةَ وَالْمَلَاةَ وَقُوَّةَ الْبَلَدِ وَفَصَاحَةَ اللِّسَانِ
وَالْبَلَاغَةَ وَالْبَيَانَ .. كَانَ عَابِرًا ذَكِيًّا قَوِيَّ الْحُجَّةِ جَذَابًا
الْحَدِيثِ .. أَعْطَاهُ الْإِيمَانُ ثِقَةً بِنَفْسِهِ وَبِرَبِّهِ فَحَافِظٌ عَلَى
مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ، وَكَانَ أَشَدَّ النَّاسِ قُرْبًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ
السَّلَامُ .

وَتَمُتُّى الْأَيَّامُ بِالسَّلَامِ فِي (مَكَّةَ) يَعَانِقُونَ اضْطِهادَ
الْكُفَرِ وَتُعَلِّمُهُمْ لَحْمَ وَتُجَوِّدُهُمْ وَتُرَوِّقُهُمْ .. فَسَهَّاجِرُ

بعضهم إلى (الحيشة) وبعضهم إلى (ثرب) فراراً بدينهم
من هذا البطش .. هاجروا متفرقين حتى لا يلتفتوا نظر أحد
إليهم ..

لكن قريشا كانت تخشى من هجرة النبي .. فحرقه
تعالى انتشار دعوته وقوة أتباعه وتدعيم أنصاره .

واجتمع أقطاب الكفر وأركان الوثنية .. يفكرون في
وسيلة للتخلص من صاحب الدعوة . كبدابة للقضاء على
الدعوة .. وتفشق تفكيرهم الشيطاني عن وسيلة تحقق
غرضهم وتربحهم من متاعب هذا الدين الجديد ..

وكانت مؤامرتهم تتلخص في أن يختاروا من كل قبيلة
فارسا قويا مسلحا .. ثم يشترك هؤلاء جميعا في قتل محمد ..
ويتفرق معه بين القبائل .. ويرضى أهله بالدية .

وصلت أخبار المؤامرة إلى النبي .. وكان عند كبير من
أصحابه قد هاجروا إلى (ثرب) .. إلا أن (حمدا) كان ينتظر
أن يأذن الله له بالهجرة ..

وجه الإذن بالرحيل

وكان لابد من الخديعة لتأمين رحيل النبي الكريم الذي
اختار موعداً غير مألوف .. وعُرج من باب خلفي ليبيت
ودعا (علياً) إلى النوم مكانه والتدثر ببردته الخضراء ليومهم
من يتلصصون على الدار بأن (عميداً) مازال نائماً ..
وتكون الفرصة كافية لابتعاد المهاجرين عن (مكة) في
الطريق إلى (يثرب) .

بالأمان شجاعة .. أن يقبل الفتى النوم في موضع يعلم
أنه هدف لعصبة من المسلحين المتربصين !
بالأمان ثقة عظيمة بالله .. ملأت قلب (علي) فجعلته
يقبل على هذا العمل الفدائي !

وبالأمانة من إيمان صادق ثابت عميق !
وكانت مفاجأة لهؤلاء الفرسان المتربصين بالنبي عندما
اكتشفوا أن النائم تحت الرقبة لم يكن (عميداً) بل كان
(علياً) .. الفتى الذي لم يبلغ العشرين من عمره ..
قضى (علي) ثلاث ليل في (مكة) أتى فيها الرذائع
التي كانت مع النبي إلى أصحابها .. ثم شد رحاله إلى
يثرب ليلحق بالنبي وصحبه من المهاجرين .

كانت (فاطمة) بنت محمد عليه السلام من السيدات
خديجة رضي الله عنها قد بلغت سن الزواج . وعاش كل
مسلم أن يرتبط بها ليكون له شرف مصاهرة أكرم خلق
الله . وكان النبي يسكت عن كل رغب في هذه المصاهرة
إلى أن جاءه (علي) بهذا الطلب . فسُرَّ الرسول ، ووافق
على تزويجها إليه على مهر قدره أربعمائة مثقال فضة .

وفي ليلة زفاف (فاطمة) على (علي) أهداهما الرسول
عليه السلام بساطا من صوف أبيض وقال لابنته :
- "والنبي نفسى بيده لقد زوجتك فتى سعيداً في الدنيا
وإِنَّه في الآخرة لمن الصالحين" .

سأل النبي يوماً :

- يا (علي) .. كيف أنت إذا زهد الناس في الآخرة
ورغبوا في الدنيا وأكلوا الثروات أكلاً لما وأحبوا المال حباً
حماً ؟

قال (علي) :

- "أتركهم وما اختاروا ، وأختار الله ورسوله والدنيا
الآخرة وأصبر على مصيبت الدنيا ويلوها حتى الحق بك

إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ..

قال الرسول :

.. "صَدَقْتُ .. اللَّهُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ بِهِ"

نَلَسَ (عَلَى) الْعَمَلِ .. وَلَمْ يَسْتَكْفِ لَهُ بِسِيطَا أَوْ
مَتَوَاضِعًا .. فَكَانَ يَقُولُ الصُّوفَاءُ .. وَيَسْقَى الْخَدَائِقَ
لِأَصْحَابِهَا وَيُثَاجِرُ أَحْيَانًا فِي الْمَوَاقِفِ ..

إِلَّا أَنْ الْحَرْبَ وَالْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَانَ أَعْظَمَ مَا قَامَ بِهِ
(عَلَى) فَقَدْ شَارَكَ الرَّسُولَ فِي أَغْلِبِ الْغَزَوَاتِ ، وَكَانَ فَتَى
الْقِتَالِ وَرَجُلَ الْمَوَاقِفِ .

وَمَرَّضَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَرَضَهُ الْآخِرَ فِي حَيَاتِهِ ...
وَتَشَتَّدَ عَلَيْهِ الْحَمَى .. وَتَعَنَّدَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ بِالنَّاسِ فَيَأْمُرُ
(أَبَا بَكْرٍ) لِيَتَوَلَّى الْإِمَامَةَ ...

وَبَقِيَ (عَلَى) إِلَى جَوَارِ النَّبِيِّ يُلَازِمُهُ ، وَيَحَاوِلُ أَنْ يَخْفُفَ
عَنْهُ إِلَى أَنْ تَحْسُنَ صَحَّتُهُ ، فَيُخْرِجُ إِلَى الْمَسْجِدِ مُعْتَمِدًا
عَلَى وَلَدَيْ عَمِّهِ (عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ) وَ (الْفَصْلِ بْنِ
الْعِيسَى) . وَشَارَكَ النَّاسَ الصَّلَاةَ وَخُطِبَ فِيهِمْ ... وَبَفَرَحٍ

المسلمون لخروج نبيهم للصلاة ويظنون أنه قد شفى .. ويعود كل إلى عمله .

إلا أنها كانت صحوّة الموت .. فقد قبض النبي في هذا اليوم ... الثامن من يونيو (630م) .

ويقف (عليّ) على تجهيز النبي ومعه (العباس بن عبد المطلب) وولده (الفضل) و (قثم) و (أسامة بن زيد) مولى رسول الله وظلّوا إلى جواره حتى أنزلوه قبره بعد أن وقعه صحابته والأقربون وجمع هائل من المسلمين .

اعتكف (عليّ) في منزله لا يغادره إلا لصلاة الجماعة وأقسم ألا يبارحه حتى يفرغ من جمع القرآن كما تعلّمه من رسول الله ..

ولما انتهى من هذه المهمة المقدسة خرج من بيته فبايع (أبا بكر) خليفة المسلمين وظل إلى جواره .. يفتيه ويعطيه المشورة ..

وكان يوم (عليّ) يتوزّع بين قراءة القرآن وتدبره .. ثم الخروج إلى الصلاة .. ما إن يفرغ منها حتى يتخذ لنفسه مكاناً في المسجد .. فيجيب على أسئلة الناس .. ويفتي من

يسأله .. ويقتصر القرآن .. وكان يقول للناس :
- "اسألوني" .

ومن أقواله كرم الله وجهه :
"من كسل الحياة ثوبه لا يرى الناس عيبه"
"من أصبح على الدنيا حزينا فقد أصبح لقضاء الله
سليطا" .

"العفاف زينة الفقير .. والشكر زينة الغنى" .
ولما مات (أبو بكر) وتولى عمرُ بن الخطاب الخلافة
واصل (علي) رسالته في المشورة والفتوى وإرشاد الناس
والحكم في القضاء .. وكان (عمر) يأنس لرايه وفتيه .. فإذا
ما نصحه بغير ما يرى أخذ بتصحيحه ، ثم يطلق صيحته
المشهوره :

- (لولا عليٌ هلك عمر) ...

ثم كان اغتيال أمير المؤمنين (عثمان بن عفان) بداية
عهد من الفتن والصراعات .. وجاء الإمام (علي) كرم الله
وجهه لينتحل مهمة شاقة وخطيرة ... فقد ظهر الخوارج

في العراق وأعلن أهل الشام التمرد وانقسم المسلمون
وتعلقت بينهم المصداقات العسكرية .

كان فجر الجمعة الثامن عشر من رمضان في العام
الأربعين للهجرة عندما ارتفع الصوت الندى القوي يوقظ
الناس في طرقات الكوفة .. إنه صوت الإمام (عليه السلام) .

كانت فرحة الإمام بالذهاب إلى المسجد .. ومعها هذه
النسمات الندية تحدد في داخله إحساسا بالقوة والفتوة ..
فيها هو ذا في طريقه إلى أحب الأماكن إلى قلبه حيث يؤتى
أحب الأعمال إلى قلبه .. وعند باب المسجد .. وقبل أن
يخلع الإمام (عليه السلام) نعليه .. داهمه آثم مجرم فشيح رأسه
بسيوف مسموم .

ويقاد المجرم القاتل إلى الإمام .. فينظر إليه وكأنه يذكره
بعدد المرات التي أكرمه فيها ويقول :

- " أحسنوا ثقله ، وأكرموا مشواه ، فإن أعشُ فانا أولى
بدمه فصاحبا أو عفوا ، وإن أمت فالحقره بى أخاصمه عند
رب العالمين ، ولا تقتلوا بى سواء ، إن الله لا يحب
المعتدين " ..

مكثنا كلنا الإمام (عليه) حتى لحظاته الأخيرة حريصا
على حدود الله ، حريصا على وحدة الأمة ، كلها لإرافة
الدملة .

فماذا كانت وصية (عليه) لئيه ؟
أوصيكم بتقوى الله ربكم ، ولا تموتن إلا وأنتم
مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، فإني
سمعت رسول الله عليه السلام يقول ..

"إن إصلاح الدين أفضل من الصلاة والصيام" ..
وما إن مالت شمسُ نهار اليوم التالي (السبت) حتى
صعدت روحُ الإمام (عليه) إلى بارئها راضية مرضية .